

رحلة الى لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة: اليابان

اليابان دولة ذات مساحة صغيرة تبلغ حوالي 376.529 كيلو متر مربع وتغطي 50% من مساحتها جبال وانهار وغابات, و تقع في شمال شرق آسيا بين المحيط الهادي الشمالي وبحر اليابان. ومع ان مساحتها أقل قليلا من مساحة ولاية كاليفورنيا الامريكية أو تساوي مساحه ألمانيا وسويسرا معا الا أن عدد سكانها يصل الى اكثر من 127 مليون نسمة طبقا لاحصائيات 2003 وتعد نسبة الكثافة السكانية في اليابان الأكبر من نوعها في العالم بمعدل يزيد عن 340 شخصاً في الكيلو متر المربع الواحد, وهي بذلك تعتبر سابع دولة أكثر تعداداً بالسكان في العالم, وعاصمة اليابان طوكيو التي تحتوي على احدث الابنية الحديثة الشاهقة, و لقد تم إعادة بناء طوكيو مرتين حيث أن المرة الاولى بعد الزلزال الكبير الذي دمرها في عام 1923م, والثانية بعد أن دمرتها قنابل الطائرات الأمريكية في عام 1945م, تمتاز طوكيو بوجود الجسور الضخمة والمعلقة و شبكة مترو الأنفاق المتشابكة والمنظمة, والتي تنقل الملايين في تناغم دقيق ومذهل. وكان المهاجرون الاوائل لليابان يطلقون عليها اسم (NIPPON) نيبون أي بلد الشمس, وذلك لاعتقادهم بأن الشمس إنما تشرق من خلف الجبال المنتشرة على الجزر اليابانية لتتير العالم كله. وتعتنق اليابان الديانة الشينتوية البوذية, و لقد عاش أهل اليابان قروناً من الانغلاق للحفاظ على ديانتهم خشية تأثير و انتشار الديانة المسيحية عليهم, وتعتبر اليابان من اكبر الدول من الناحية الاقتصادية حيث تحتل المرتبة الثانية في العالم ويرجع سبب هذا النجاح الى التقدم التكنولوجي. و تتميز اليابان بجمال الطبيعة لتعدد أنواع زهورها وأشجارها وأعشابها, مما ساعد على خلق حس الإبتكار وجمال الإبداع الثقافي والصناعي لدى الإنسان الياباني, وعند زيارتها لأول مرة لا بد من أن يتعلق قلبك بها اعجابا وحباً. وتتكون دولة اليابان من مجموعة من الجزر, منهم أربعة جزر رئيسية وكل منها لها شخصيتها المستقلة وهم هونشو, شيكوكو, كيوشو, هوكايدو. و يعتبر الشعب الياباني من أقرب الشعوب للمسلمين والعرب من حيث العادات والتقاليد وتقدير العاطفة والروح, إلا أنهم يختلفون في المعتقدات التي تعتمد على إجتهدات وتعاليم بشرية أكثر منها ديانات سماوية, ويقدرون العادات والتقاليد والتاريخ والأسرة التي تحظى بكل إهتمام وتقدير وإحترام مثلهم مثل أغلب الشرقيين. والشعب الياباني يتميز بعدة صفات شكلية تجمعهم من حيث العين الضيقة وقصر القامة والشعر الناعم ولون البشرة المائل للصفرة, حيث يطلق عليه الجنس الأصفر. ورغم طابع الحداثة الذي يميز أسلوب حياة اليابانيين إلا أن التأمل الروحي يمثل عنصراً أساسياً بالنسبة لشعبها الذي لم يتأثر بهذة الحداثة عندهم, إذ يشكل الدين أحد أهم المقومات الشخصية اليابانية. أنظر الى مدينة كيوتو العاصمة القديمة لليابان, مدينة الألف معبدٍ ومعبد, فإنها تختزل تاريخ الدين في اليابان. وتعتبر هذه مقدمة سريعة على هذا الشعب وعاداته وتقاليده.

الخصوصية والرقابة الذاتية

اشتهر المجتمع الياباني بارتباطه الشديد بالعادات والتقاليد وإحتفاظه بسمات ثقافية وحضارية تؤهله لحفظ خصوصيته, التي ربما كانت قد لعبت دوراً كبيراً في هذا النجاح السريع الذي تحقق. إن اليابانيين يختلفون عن بقية شعوب العالم, ولهم طبائعهم وطقوسهم الخاصة. و يعتبر الشعب الياباني والشخصية اليابانية من أهم العوامل التي أدت الى نجاح اليابان, حيث تمكنت الشخصية اليابانية من نقل ما لدى الغرب من علوم مختلفة ونجح في تقليدها وتطبيقها, بل أبدع في تطويرها إلى

الأحسن, وكذلك يعتبر الإنسان الياباني الراحة والنوم شيء معيب, لذلك تجده في غاية الجد والنشاط وقت عمله, وتجد أن إجازته السنوية شبه معدومة, أن الياباني لديه شعور بالرقابة الذاتية, فلا يحتال أو يتخاذل لأجل توفير بعض المال أو الوقت, والأهم من ذلك هو أن الإنسان الياباني يقدس العمل الجماعي وعدم الظهور أو التسلق على الآخرين, ويعمل في بيئة جماعية تنكر الذات وهدفها الأعظم هو نجاح الأمة وتفوقها ليس من أجل زيادة في المال أو طمعا في منصب.

الإكلات اليابانية والمشروب الوطني من الارز

يعتبر الأرز في اليابان الغذاء الرئيسي للأسرة اليابانية وله أهمية كبيرة جدا, ويتم تناول الارز مسلوقا ويدخل الارز في استخدامات كثيرة في الصناعات الغذائية منها كعكة الارز, البقول ذات المذاق الحلو, الخل الذي يستخدم في الصلطة و السوشي والكثير من الاكلات. والأكلات اليابانية التقليدية كثيرة نذكر منها السوكياكي, التمبورا, السوشي, الساشيمي. أما السوكياكي فهي عبارة عن شرائح رقيقة من لحم البقر والخضراوات توضع معاً في وعاء ماء يغلي أمام الضيوف, التمبورا هي عبارة عن طبق روبيان يقلى بزيت السمسم مع الخضار, والسوشي وهي عبارة عن كرات أرز مغلي وبداخله قطع من أسماك التونة أو السلمون, والساشيمي وهو عبارة عن شرائح صغيرة من الأنواع المختلفة للسلمك (وأنواع أخرى من المأكولات البحرية) ويؤكل نئ مع الزنجبيل ويخلط عادة في صلصة فول الصويا. أما عن المشروبات فإن المشروب الوطني الياباني هو الساكية و الذي يصنع من الارز بعد تركه يختمر, وهو المصطلح العام للكحوليات في اليابان ويشرب وهو دافئ في كؤوس صغيرة.

الديانة: الشنتو (الطريق الى الاله)

كفل الدستور الياباني حرية الأديان, ولكن لا يوجد دين رسمي للدولة. إما الشعب فإن مفهوم الدين لديه يختلف عن مفهومنا نحن, فالدين بالنسبة لهم فلسفة وفن أو قصص من أساطير الأولين, فالمدارس اليابانية يمنع فيها تدريس الديانات من جهة, ووفقاً للدستور فإنه لا ينبغي أن تحصل أية هيئة دينية على أية إمتيازات من الدولة, أو تمارس أي سلطة سياسية, ولن يرغب أي شخص على المشاركة في أي عمل ديني أو إحتفال أو طقوس أو ممارسات عقائدية ويحظر على الدولة وأجهزتها ممارسة التربية العقائدية أو أي نشاط ديني آخر. والغريب أن الياباني عندما يسأل عن دينه يجيب بأنه "لا ديني", ولا يكتب شيئاً في خانة الدين, باعتبار أن الشنتوية ما هي إلا عادات اجتماعية يابانية متوارثة والبوذية تعتبر فلسفة أكثر منها ديناً, والديانة البوذية وصلت الى اليابان من الهند عن طريق الصين ويوجد منها مجموعات كثيرة الآن منها الشنسو و الزن. والشنتوية هي الديانة الفطرية لليابان, والتي يرجع جذورها إلى المعتقدات الروحانية لليابانيين القدماء وتشكل الحيز الأساس من تراث اليابان, والشنتو كلمة صينية الأصل مؤلفة من مقطعين: شن وتعني الروح أو إله, وتا وتعني الطريق, فهي, إذاً تعني طريق الإله. و معتقدات و فلسفة الشنتو هي ترتبط بالنزعة الروحية الالهية وهذا يفسر نزعة اليابانيين إلى إظهار التفوق, وتبريرهم يقوم على مقولة هي: ما دام الإمبراطور الياباني سليل الالهة المباشرة, فهذا كافٍ لتكون اليابان متفوقة على بقية الأمم والشعوب, وهذه النزعة ولدت روح المقاومة عند شعب اليابان, وروح الجدية في العمل لتحقيق إنجازات تثبت هذا التفوق, وقد عبّر عن هذه الحقيقة عبد الفتاح شبانة احد المؤرخين العرب بقوله: «حدث بعد الاحتلال الأمريكي لليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية أن اليابانيين لم يستخدموا إطلاقاً كلمة تسليم أو استسلام أو كلمة جيش الاحتلال, لا في الوثائق الرسمية ولا في جرائدهم ومجلاتهم, واستخدم اليابانيون جملة: انتهاء الحرب بدلاً من التسليم, وحملة الجيش الذي عسكر في قاعدة متقدمة, بدلاً من جيش الاحتلال.

السومو.. المصارعون العمالقة

تعتبر السومو (Sumo) في اليابان الرياضة الوطنية، و يعود تاريخ هذه الرياضة إلى حوالي 2000 سنة، وهي تعد الرياضة الشعبية الأولى في اليابان، وفيها يتصارع اثنان في حلبة دائرية بحيث يحاول كل منهما دفع الآخر خارج الدائرة، أو طرحه على الأرض ليتحقق له الفوز عليه، وفي هذه المباريات يقضي المصارعون الدقائق الأولى وهم يزأرون ويزمجرون ويرمون الملح في الهواء، ولكن المباراة الحقيقية لا تستغرق سوى ثوان، وهناك بالطبع حكم لهذه المباراة يرتدي زيًا خاصًا يعود تصميمه إلى ما كان يرتديه النبلاء في القرن الرابع عشر. وهذه الرياضة ذات فن وقوانين، وباليابان 7 بطولات في العام منها ثلاثة بطوكيو العاصمة، ويمتاز مصاريعوها بالوزن الثقيل و القوة الجسديه حيث من عاداتهم الاكل الكثير ثم النوم مباشرة ليزداد وزنهم ليتراوح بين 148 كغ إلى 239كغ.

الساحره المستديره كره القدم

في السنوات القليلة الاخيرة وقبل أن يسدل ستار القرن الـ19 ظهرت عظمة اليابان في قهر المستحيل و الاهتمام بالساحرة المستديرة،؛ بدأت تهتم بهذه اللعبة من خلال إنشاء الأندية، والاهتمام بها، واستقطاب الخبرات من جميع دول العالم؛ حتى راينا التقدم السريع الذى اذهل عشاق كرة القدم في العالم بما وصلت الية اليابان من تطور فى هذه اللعبة، مما دفع مدربهم اليابانى الموطن ان يقول مقولته الشهيرة إن هذا إنجاز للروح و الشجاعة اليابانية، لقد كنا نقدم دائماً كرة هجومية و لم نترجع للدفاع.

الإمبراطور

يعتبر وفقاً "للشنتوية" سليل آلهة الشمس المقدسة، وهذه الصلة تحمل أتباعه على طاعته والخضوع له والتضحية في سبيله، وكان الإمبراطور هو الإله المعبود، ومن تقع عينه عليه فإنه يعتقد أنه أذن ذنباً لا كفارة له إلا الانتحار، ولكن إنهار كل ذلك بعد تحول الإمبراطور الى شخص عادى بعد قصف الأمريكيين لمدينتي هيروشيما وناجازاكي بالقنابل النووية و اعلان الامبراطور بصوت مكسور بأن «اليابان قد خسرت الحرب». كان ذلك منعطفاً حاسماً في اذهان اليابانيين الذين فقدوا ثقتهم بما كان لا يمكن ان يرقى له الشك في اذهانهم.. ذلك لان «تعلقهم حتى التقديس بشخص الامبراطور كان بمثابة فضيلة فطرية بالنسبة لكل ياباني».. ومن هنا كانت الهزيمة في الحرب و اعلان الامبراطور شخصياً لها بمثابة «كارثة لا معادل لها في تاريخ الامة اليابانية» واصبح دستور اليابان الحديث ينص على أن الإمبراطور هو رمز الدولة ووحدة الشعب , ويستمد مركزه من إرادة الشعب الذي يتمتع بالسلطة المطلقة, وهذا يعني أن النظام السياسي في اليابان , هو نظام إمبراطوري مقيد, لذلك فإن أغلب قرارات الإمبراطور لا تصبح نافذة إلا بعد أخذ الموافقة من مجلس الوزراء.

فلسفة الانتحار

أن فلسفة الشنتو لا تدين الانتحار ولا تجرمه، بل يتقبل المجتمع الياباني عملية الانتحار بمشاعر الإعجاب والتقدير حيث يقدم الانسان اليابانى على الانتحار إذا احس بالتقصير في أحد

واجباته, وهذا يظهر هذه الشخصية الكتومة الهادئة الممزوجة بالكرامة بشكل مثير عندما يرتكب خطأ فادحاً في حياته ليقوم بالإنحيار.

اللغة اليابانية

اللغة اليابانية هي ام المشاكل في اليابان, ليس فقط للوافدين من الخارج, بل لليابانيون أنفسهم؟ فاللغة الذي يتحدث فيها الموظف الياباني مثلاً مع رئيسه تختلف إختلافاً بيناً عن اللغة التي يتحدث فيها مع زوجته, وتختلف عن اللغة التي يتحدث فيها مع صديقه ووو .. كلها تختلف مع بعضها البعض على حسب معايير معقدة ومتشابكة التي تعتمد على الوظيفة, المكانة الإجتماعية, الجنس, الخ . وتعلم التحدث بمفردات المعيشة اليومية اسهل بكثير من الكتابة والقراءة, حيث تنقسم نصوص الكتابة في اللغة اليابانية الى ثلاث نصوص هي هيراجانا-كتاكانا-كانجي و ما ادراك ما الكانجي الذي يحتوى على اكثر من 5000 شكل ورسم واعتقد أن اليابانيين أنفسهم لا يستغنون عن القواميس اليابانية-اليابانية المختلفة لترجمة وفهم بعض الكلمات والاشكال التي تصادفهم مثلاً في الجرائد وتكون غريبة عليهم. ولم تكن اللغة عائقاً عن تشجيع اليابانيين على القراءة, فهم شعب قارئ بل يوصف بأنه من الشعوب عاشقة القراءة, ولصعوبة اللغة يلجأ الطلاب الوافدين الى نظام الاقامة عند أحد الاسر اليابانية عن طريق نظام معمول به باليابان يسمى الهوم ستى (home stay) واغلب الاسر اليابانية ترحب بهذه الاستضافة ويكون الضيف بمثابة فرد من هذه العائلة وتكون فرصة جيدة للوافد في المعيشة اليومية للحياة اليابانية.

الزى الرسمي للانسان اليابانى

الكيمونو هو الرداء الرسمي والتقليدى للانسان اليابانى, وهو يختلف شكلة واسمة طبقاً للمناسبات والسن و الحالة الاجتماعية و يعود أصل الكيمونو للصين إلا أن اليابانيين قاموا بتطويره حتى يتناسب مع الطابع اليابانى, ويُلبس في الأفراح والأعياد القومية وزيارة المعابد وعادةً ما تورثه الأم لابنتها.

صيد الحيتان والسماك بالبط و زراعة اللؤلؤ

تعتمد اليابان على البحر وخيراته في غذائها وتعتبر اليابان من الدول الاولى الت تعتمد على صيد الاسماك, حيث يوجد باليابان اكثر من 700 الف يابانى يشتغلون بصيد الاسماك, السماك و الاعشاب البحرية يعتبرون من الاغذية الاساسية للشعب اليابانى. ومن الطريف باليابان ان توجد طريقة ما زالت تستخدم حتى الان فى صيد السمك لاتعتمد على السنارة ولا الشباك أو السهم, ولكن يصطادون بنوع من البط يسمى "كورموران" الذي يتم تدريبيه على صيد السمك من القارب في النهر, وتعيش البطة من حوالي 15 الى 20 عاماً, وتحتاج لصبر كبير حتى يتم تدريبها على الصيد حيث أن المدرب يقوم بوضع حلقة معدنية في رقبة كل بطة لتمنعها من بلع السمكة, ويتم الصيد خلال الموسم الذي يبدأ من مايو إلى أكتوبر ليلاً, خصوصاً المكتمل فيها القمر, و ها هو مثال اخر يوضح قوة وعزيمة هذا الشعب العظيم الذى لايعرف المستحيل فى قوامسة, و تمارس اليابان صيد الحيتان منذ ثلاثة قرون بالرغم من وجود مناقشات ساخنة بين دول صيد الحيتان والمدافعين عن البيئة, في الوقت الذي تحث فيه اليابان بقوة على استئناف الصيد التجاري للحيتان بينما تلقى معارضة شديدة من المدافعين عن البيئة, رفع الحظر المفروض منذ عام 1986 على الصيد التجاري للحيتان وترفع اليابان شعار حافظوا على ثقافة الغذاء اليابانى.من جهة أخرى, أن اليابان تشتهر بصناعة اللؤلؤ وهي تشبه العملية الجراحية؛ حيث يتم أخذ نواه من الطبقة الداخلية لإحدى المحارات

الكبيرة، وتوضع في محارة أخرى، ويتم إغلاقها ثم وضعها في ماء تصل حرارته إلى 25 درجة مئوية.

الإسرة اليابانية

كانت الاسر اليابانية تعيش بين أسرة كبيرة مكونة من ثلاثة أجيال , وكانت العلاقة العائلية يحكمها نظام صارمة من قبل رب الأسرة. إلا أنه كان للنمو الإقتصادي السريع تأثيراً على الحياة العائلية في اليابان, فازداد عدد الأسر المكونة من بين أبوين وأطفالهما فقط , مما أدى إلى تغير في مفهوم الاستقرار الأسري في اليابان. تتميز المرأة اليابانية وكذلك الرجل بعدة أشياء مختلفة عن مجتمعات أخرى, المرأة اليابانية يتحول إهتمامها وتركيزها بعد الزواج إلى رعاية منزلها وتربية أبناءها. إنك قد لا تجد أم تعتني بتربية ابناءها مثل الأم اليابانية , فالأم اليابانية ومنذ فترة رضاعة طفلها , تبدأ بسرود القصص والأحاديث التي تنمي لدى طفلها الأخلاق الفاضلة , وتغرس فيه حب الوطن , وحب الخير , وعشق البطولة , وتمجيد الآخرين ومن هم أكبر سنًا. والزوجة اليابانية هي التي تتصرف بإدارة راتب الزوج , ويعتمد الرجل على مصروف يومي محدد من قبل الزوجة . وتسيطر النساء على الادارة المالية للبيت, فهي المسؤولة الأولى عن مهام الأسرة من تدبير النقود لشراء المسكن والسيارة, واختيار مدارس الأولاد ومتابعة دراستهم والاتصال بالمدرسين, وتمثل الأسرة في جمعية الحي, وتتميز المرأة اليابانية بالسيطرة على كل الأمور وحتى على الأبناء في كافة مراحل عمرهم وحتى بعد الزواج. أما الرجل الياباني يقدس العمل فيقضي أوقاهاً إضافية, فيصل متأخرًا إلى البيت, ومن الطريف أن الزوج الذي يعود مبكرًا من العمل يمثل خيبة أمل للأسرة أمام الجيران؛ لأنه بذلك يعد غير هام في المؤسسة التي يعمل بها. الطفل هو الملك المتوج ومركز اهتمام الأسرة, والأم لا تتركه مطلقًا, وينام مع والديه حتى يكبر, وهو بذلك يلجأ لرأي أمه حتى بعد أن يصبح شابًا.

والتزاور بين الاسر اليابانية لة عظمة وبروتوكولات راقية حيث يستأذن الضيف بصوت مرتفع, وحينما يؤذن له يخلع الحذاء وتكون مقدمته نحو المنزل, ثم تقوم الخادمة بتحويل المقدمة نحو الشارع ليكون جاهزًا عند خروج الضيف, ثم تبدء بروتوكولات التحية والترحيب بإنحناء القامات إلى الأمام بهدوء وإجلال, وعندما يرغب في تأكيد إحترامه وعمق محبته , فإنه يكرر أنحنائه أكثر من مرة والابتسامة لا تفارقة و تشع عيناه لطفًا وبشراً دلالة على عمق الترحيب. كما أنه من المعتاد أن تتبادل معه بطاقات الأسماء كأول خطوة مأمونة تقوم بها مع ياباني بعد إنتهائه من طقوس الإنحناءات والتحية والسلام. وقد يحمل الزائر معه هدية وتكون بسعر معقول ليس به تبذير, ولا تفتح الهدية أمام الزائر حتى لا يصيبه الحرج.

أن الانسان الياباني لديه من القيم والشهامة والبسالة والحكمة ما لا تتوفر بين امم كثيرة, على سبيل المثال, الفقير منهم وإن جائته أيام لم يجد ما يأكل فيه .. إلا أنه حينما يخرج على قومه, لا يخرج ملتوي البطن من شدة ألم الجوع, إنما يخرج رافع الرأس ماسكاً عود الأسنان يسلك ما علق من طعام بين أسنانه متظاهراً أنه خرج من وليمة, نعم هكذا الياباني إن أصيب بمصيبة أو جزع أو فشل, فلن ولن تكتشف ذلك لأنه لا يظهره لا في وجهه ولا في كلامه إنما يخفي هذه المرارة في أحشائه بل تجده يبتسم ويضحك في وجهك, نبلا من عنده, ولكنة يبكي لكن في البيت بمفرده. إن هذه الرحلة التي أخذتنا الى بلاد الشمس المشرقة ذات الكثافة السكانية العالية و البقعة الصغيرة من الأرض , وتحت هذا الإرتفاع الفاحش في التكلفة المعيشية وقلة الموارد الطبيعية. فإن اليابان قفزت قفزات عملاقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونجحت في نهضتها بشكل سريع ومددهش الى حد ان الناس اصبحوا يتحدثون عن المعجزة اليابانية فلم يحصل ان تعرض اي بلد في العالم

لمثل هذه التحولات الكبرى في فترة قصيرة جداً فأوروبا احتاجت الى مئتي سنة لكي تصبح صناعية فعلاً وتسيطر على التكنولوجيا المتقدمة واما اليابان فقد حققت كل ذلك خلال بضعة عقود من السنين.يالهم من شعب عظيم.